

الحلقة الثمانون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

إذا سمحت لك الظروف مستمعي أن تتقابل مع شخص عظيم، فماذا تقول له؟ أو لا تحضر له بعض الأسئلة التي تظن أن هذا الشخص قادر على الإجابة عنها؟ وإذا فاجأك إجابته ماذا يكون موقفك؟ هل تقتنع بها أم تحاول مناقشته بهدوء لكي تعرف المزيد من الحقائق؟

لعلّ هذا ما حصل مع عدة أشخاص عاديين أو حتى مسؤولين سمحت لهم الفرصة لكي يقابلوا المخلص يسوع المسيح. وكان واحد منهم من رؤساء الفريسيين، هذا أتى إلى المسيح ليلاً ليقابله خفية، خوفاً من زملائه الفريسيين الذين كانوا يكرهون المسيح ويقاومونه. وكان اسمه نيقوديموس.

دوّن البشير يوحنا هذه المقابلة حيث بدأ بسؤال نيقوديموس للمسيح: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، لِأَنَّ لَيْسَ أَحَدًا يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ». أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ». قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنُ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ. الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لَا تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. الرَّيْحُ تَهْبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لَكِنَّكَ لَا تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ». أَجَابَ نِيقُودِيمُوسُ وَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هَذَا! الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا. إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ الْأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمْ السَّمَاوِيَّاتِ؟» (بشارة يوحنا ٣: ٢-١٢). سنتأمل الآن بهذه المقابلة المثيرة والحديث الشيق الذي جرى فيها فابقوا معنا.

صديقي المستمع، لقد بدأ نيقوديموس حوار مع المخلص المسيح بإعلانه حقيقة هامة لاحظها رؤساء اليهود، إذ قال له: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا» فلم يكن لدى نيقوديموس وهؤلاء الرؤساء شك أن المسيح قد أرسل من قبل الله معلماً. وتابع نيقوديموس مؤكداً هذه الحقيقة عندما قال للمسيح: «لَأَنَّ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ». فمن غير المعقول أن يقوم أحدهم بكل هذه العجائب الباهرة لو لم تكن قوّة الله معه.

لكن نيقوديموس في نفس الوقت، كان كمن يبدي استغرابه كيف أن المسيح وبالرغم من كل هذه العجائب لم يُعلن بعد ملكوت الله. وكان أيضاً كمن يتساءل في ذهنه لماذا؟ ومتى سنرى هذا الملكوت؟ فلقد كان اليهود يتوقعون أن يحررهم المسيح من أعدائهم، ويبدأ ملكوت الله. لكنهم وجدوا أن المسيح لا يعير اهتماماً لهذا الأمر، فهو لا يخطط ولا يسعى لإنشاء مملكة أرضية. لهذا نجد أن المسيح عرف ما يدور في ذهن نيقوديموس، فقال له: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُوَلِّدُ مِنْ فَوْقُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ». أي لكي نرى ملكوت الله علينا أولاً أن نولد ولادة روحية جديدة. وهنا نجد أن المسيح كشف له حقيقة هامة وهي: أن ملكوت الله قد بدأ فعلاً بمجيئه، لكن بصورة تختلف بالكلية عن مفهوم اليهود له. فهو ملكوت روحي وليس ملكوتاً أرضياً.

وعندها استغرب نيقوديموس تصريح المسيح هذا فتساءل قائلاً: «كَيْفَ يُمَكِّنُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُوَلِّدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنُ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُوَلِّدَ؟». وهذا تساؤل منطقي. إذ كيف يمكن للإنسان أن يولد مرّة ثانية؟ وهنا كان لابد للمسيح أن يكشف له كيف يمكن للإنسان أن يولد ثانية.

أجاب المسيح على تساؤل نيقوديموس قائلاً: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُوَلِّدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ. الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ». إذن إن الولادة الثانية تعني الولادة من روح الله القدس. فعلى الإنسان أن يولد من الروح كما وُلد من الجسد. وتابع المخلص المسيح مؤكداً: «لَا تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُوَلِّدُوا مِنْ فَوْقُ. الرِّيحُ تَهْبُ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لَكِنَّكَ لَا تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ». إن الولادة من روح الله القدس تحصل إذن بصورة غير مرئية، كهبوب الريح الذي نسمع صوته لكننا لا نراه.

وعندها تساءل نيقوديموس قائلاً: «كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلسَتَ تَعْلَمُ هَذَا!» لقد استغرب المسيح جهل نيقوديموس بالولادة الروحية، مع أنه كان معلماً لليهود، وقد درس العهد القديم من الكتاب المقدس. والذي فيه

يتنبأ الأنبياء بوضوح عن الولادة الروحية. وهنا تابع المسيح قائلاً له: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْنُمُ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا. إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ الْأَرْضِيَّاتِ وَلَسْنُمُ تُوْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُوْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمْ السَّمَاوِيَّاتِ؟» أكد المسيح لنيقوديموس إذن أنه يتكلم بما يعلم وبما رآه في السماء. وأنه مازال يتكلم انطلاقاً من المفاهيم البشرية.

مستمعي الكريم، لعلّ السؤال الآن: كيف يمكن للمرء أن يولد ثانية من روح الله القدس؟ لقد تابع المسيح حديثه مجيباً عن هذا السؤال الهام بالتأكيد على أهمية التوبة والإيمان، الإيمان بموته الكفاري على الصليب من أجل خطاياه، وعندها يولده الله ثانية بالروح القدس. وأن كل من يؤمن به سينجو من الهلاك الأبدي وينال الحياة الأبدية.

سننأمل مستمعي بالتفصيل بإجابة المسيح هذه في اللقاء القادم. لكن نود في الختام أن نطرح عليك هذا السؤال: ألا ترغب أن تولد ثانية من روح الله القدس؟ وأن يحركك الله بالتالي من عبودية الخطية؟ أولاً تود أن تنال الحياة الأبدية؟ تعال إذن إلى المسيح المخلص تائباً عن خطاياك ومؤمناً بموته البديلي عنك على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات.